الدرس التاسع والعشرون :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

روى الترمذي وأبو داود ، عن النبيِّ ﷺ : « **إنَّ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى منهم أخاه ، فيقول له : أي فلان ، اتَّق الله ودَعْ ما تصنع ، فإنه لا يحلُّ لك . ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده** » . قال النبيُّ ﷺ : « **فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض** ».

وفي رواية : « **ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم** » ، ثم قرأ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة:٧٨،٧٩) [1].

مسئولية المسلم على صلاح المجتمع :

إنَّ الإسلام لا يريد من المسلم أن يفعل المعروف فحسب ، وأن يترك المنكر فقط ، بل حمَّله واجبًا آخر ، حمَّله واجبًا نحو المجتمع ، حمَّله مسئولية إصلاح الجماعة .

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٦)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٤٧)، وقال : حسن غريب ، وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٦) مرسلاً ، عن ابن مسعود ، وأورده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ، وقال : رواياه ـ أبو داود والترمذي ـ من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، ولم يسمع من أبيه ، وقيل : سمع (١٦٠/٣) . ورجَّح الحافظ ابن حجر في التقريب : أنه لم يسمع (صـ٦٥٦) ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٩٣٢) ، ففي الحديث انقطاع ، وله شاهد من حديث أبي موسى ، رواه الطبراني كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٥٣١/٧) ، فهو العمدة هنا .

إن عليه أن يفعل المعروف ، وعليه ـ مع ذلك ـ أن يأمر به غيره ، وإن عليه أن يجتنب المنكر ، وعليه ـ مع ذلك ـ أن ينهى عنه غيره .

إن مسئولية المسلم أن يكون صالحًا في نفسه ، مصلحًا في جماعته ، فهو صاحب مسئولية ، وأنه على ثُغَرة من ثُغَر الإسلام . . . فلهذا إذا رأى المنكر ، كان عليه أن يُغيِّره بيده إن أمكن ، فإن لم يستطع فعليه أن يُغيِّره بلسانه ، يأمر وينهى ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل[1] .

معنى التغيير بالقلب :

الناس يفهمون هذه الرتبة الأخيرة فهمًا مغلوطًا ، يظنون التغيير بالقلب أمرًا سلبيًّا ، ولو كان أمرًا سلبيًّا ما سُمِّي تغييرًا ، النبي ﷺ ، يقول : يُغيِّر بقلبه . كيف يُغيِّر إذا كان هو مجرَّد امتناع فقط؟ لا . . . ولكن التغيير بالقلب ، أن يكون قلب المسلم مُمتلئًا بالكراهية ، للمنكر وأصحابه ، يتمزَّق كبده حَسْرة وأسى ، على هذه الحال ، وأن يحمل الغَيْرة والغليان في قلبه ، أن يغلي قلبه كلما رأى المعصية والمنكر ، كما يغلي القِدْر فوق النار .

هكذا ينبغي أن يكون المسلم ، أما أن يقول : أنا أُغيِّر بقلبي ، ومع هذا يخالط أصحاب المنكر ، ويؤاكلهم ويشاربهم ويصافحهم . فليس هذا من التغيير بالقلب ، وهو ليس من التغيير في شيء .

إنَّ أقلَّ مظاهر التغيير بالقلب : أن تقاطع أصحاب المنكر ، أن تبتعد عنهم ، ولهذا ذكر لنا النبي ﷺ : أن بني إسرائيل لم يغْنِ عنهم من الله شيئًا ، أنهم كان بعضهم يلقى بعضًا ويقول له : يا فلان ، اتق الله ، ودع هذا فإنه لا يحل لك .

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩) ، وأحمد (١١١٥٠) ، وأبو داود في الصلاة (١١٤٠) ، والترمذي في الفتن (٢١٧٢) ، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، وابن ماجه في الفتن (٤٠١٢) ، عن أبي سعيد الخدري .

هذا النهي باللسان لم يُغْنهم شيئًا ؛ لأنه لم يتبعه عمل ، لم يكن وراءه موقف إيجابي ، لأنهم ظلُّوا يؤاكل بعضهم بعضًا ، ويجالس بعضهم بعضًا ! فلهذا ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على ألسنة أنبيائهم ، وقال : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ (المائدة:٧٩)، لم يعتبر القرآن قولهم هذا باللسان تناهيًا عن المنكر ؛ لأنه قول سلبيّ لا يعبِّر عن موقف إيجابي .

إنما الواجب أن يفعل الإنسان ، أن يأمر وينهى ، وأن يُتبع ذلك بالمقاطعة ، حتى يشعر صاحب المنكر أنه مُقاطَع ، وأنه مُحاصَر حصارًا أدبيًّا من المجتمع ، فمَن لم يُزِل المنكر فليزُلْ عن المنكر . حتى لا تنزل عليه اللعنة حين تنزل ، فإن الرحمة تخصُّ ، والنقمة أو اللعنة تعمُّ . . .

رُوِي عن النبي ﷺ : « لا يقفنَّ أحدكم موقفًا يقتل فيه رجل ظلمًا ، فإن اللعنة تنزل على مَن حضره حين لم يدفعوا عنه ، ولا يقفنَّ أحدٌ منكم موقفًا يضرب فيه أحد ظلمًا ، فإنَّ اللعنة تنزل على مَنْ حضره حين لم يدفعوا عنه »[1].

كراهية المنكر وعدم الرضا به :

فإذا اضطررت اضطرارًا إلى أن تبقى بمكان فيه معصية ، فتكفيك كراهية ما يقع من منكر لذاته ولمَن يرتكبونه .

وفي الحديث : « إذا حَضَر العمل بالمعاصي ، كان مَنْ حضرها فكرهها كمَن غاب عنها ، ومَن غاب عنها فرضيَها كان كمَنْ حَضَرها »[2].

فالرضا له أهميته ، الرضا بالمنكر هو نفسه منكر ، كما قيل : الرضا بالكفر كفر ، والرضا بالظلم ظلم .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٦٠/١١) ، وأبو نُعيم في الحلية (٣٤٥/٣) ، والبيهقي في الشعب باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧٥٨٠) ، عن ابن عباس ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه أسد بن عطاء ، قال الأزدي : مجهول ، ومندل وثقه أبو حاتم وغيره ، وضعفه أحمد وغيره ، وبقية رجاله ثقات (٦/ ٤٤٣) ، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٥٦) .

(٢) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤٥) ، والطبراني في الكبير (١٣٩/١٧) ، عن العُرْس بن عميرة الكندي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٩) .

ترك إنكار المنكر يجلب سخط الله :

إذا ترك الناس إنكار المنكر ، ولو بالقلب ، ورضوا عنه وعن فاعليه ، فهذه هي المصيبة التي تُحلُّ بالناس سخط الله ، وتُنزل بهم بلاءه وعذابه ، وفي الحديث : « لا تزال لا إله إلا الله تنفع مَن قالها ، وتدفع عنهم عذاب الله ، حتى يستخفُّوا بحقِّها » . قيل : وما الاستخفاف بحقِّها ، يا رسول الله؟ قال : « أن يُعمل بمعاصي الله فلا تُنكر ولا تُغيَّر »[1]، أي : لا تُغيَّر باليد ولا باللسان ولا تُنكر بالقلب .

شر ما يصيب المجتمع اختلال القيم واضطراب المقاييس :

فهذا هو الذي يجلب على الناس سَخَط الله وعذابه ، وشرٌّ من ذلك أن تختلَّ الموازين ، وتضطرب المقاييس والقيم في المجتمع ، فيُصبح المعروف في نظر الناس مُنكرا ، ويُصبح المُنكر معروفا ، وتُصبح السنة بدعة ، وتصير البدعة سنة .

هذا شرُّ ما يصيب الناس ، أن تختلَّ القيم في الأذهان والأفكار ، فإذا التمسُّك بالدين يصبح رجعية أو تخلفا ، أو التحلُّل من الفضائل والعفاف والحشمة والوقار يصبح ضربا من التمدُّن والترقِّي والتحرُّر . . . وهكذا .

الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف :

إن اختلال الموازين هو شرُّ ما يُصاب به المجتمع من تأخُّر ، وأشدُّ من ذلك أن تجد في الناس مَن يأمر بالمنكر ، ومَن ينهى عن المعروف ، أن تجد للمنكر أصواتًا جهيرة تدعو إليه في صحافة تُروَّج ، وفي كتب تُنشر ، وفي إذاعات تملأ الآفاق ، وفي التليفزيونات ، وفي السينيمات ، وفي غيرها من المجالات .

ترى للباطل أصواتًا عالية ، تدوِّي في كل أُذن ، وتتجاوب في كل أُفق ، وتملأ كل عين ، بما يُرى ، وما يُسمع ، وما يُقرأ .

أصوات تدعو إلى الفجور ، إلى الإلحاد ، إلى الإباحية ، إلى التغريب ، إلى الشيوعية ، إلى السُّخرية بالدين ، بالصلاة ، بأوامر الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(المائدة:٥٨).

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب (١٦٣/٣) ، وعزاه إلى الأصبهاني ، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه إلى ابن عساكر في تاريخه ، عن أنس ، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٣٩١) .

هذا هو شرُّ ما يصاب به المجتمع .

فتن تدع الحليم حيران :

يقول النبي ﷺ ، في حديث له : « كيف أنتم إذا فسق شبَّانكم ، وطغت نساؤكم ، وتركتم جهادكم؟» . قال الصحابة : وكائن ذلك يا رسول الله؟ تفسق الشبان ، وتطغى النساء ، ويُترك الجهاد؟ قال : « نعم ، والذي نفسي بيده ، وأشدُّ منه سيكون» . قالوا : وما أشد منه؟ قال : « كيف أنتم إذا صار فيكم المعروف مُنكرًا ، والمُنكر معروفا؟» . قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال : « نعم ، والذي نفسي بيده ، وأشد منه سيكون» . قالوا : وما أشد منه؟ قال :« كيف أنتم إذا أمرتم بمُنكر ، ونهيتم عن المعروف؟ قال الله تعالى : لأتيحنَّ لهم فتنة تَذَر الحليم حيران»[1].

وأي فتنة أشدّ مما فيه المسلمون الآن؟

أي فتنة أشد مما تلاقي الأمة الإسلامية في هذا العصر ، بعد أن اضطربت أمورها ، واختلَّت موازينها ، وأصبح كتاب الله وراءها ظهريًّا ، وأصبح المتديِّنون لا حَوْل لهم ولا طَوْل ، وأصبح الفُجَّار شامخين بأنوفهم ، ثانين أعطافهم ليضلوا عن سبيل الله . . .

ما المخرج من الفتنة ؟

إنها فتنة لا مخرج منها إلا كتاب الله ، إلا أن نرجع لنضع أيدينا في يد الله ، إلا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ونصرخ بأعلى أصواتنا آمرين ناهين حافظين لحدود الله ، وما ينبغي أن يرتفع المنكر ، وأن يعلو صوته في مجتمع مسلم ، وما ينبغي أن يضيع المعروف حتى لا يجد مَن يأمر به .

---

(١) رواه أبو يعلى (٦٤٢٠) ، والطبراني في الأوسط (٩٣٢٥) ، عن أبي هريرة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفي إسناد أبي يعلى موسى بن عبيدة وهو متروك ، وفي إسناد الطبراني جرير ابن المسلم ولم أعرفه ، والراوي عنه شيخ الطبراني همَّام بن يحيى لم أعرفه (٥٥١/٧) ، وقال العراقي في تخريج الإحياء : أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف ، دون قوله : « كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف»، ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصرًا على الأسئلة الثلاثة الأول ، وإسناده ضعيف (٣٨٠/٢) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٢٠٤).

سبب خيريَّة الأمة الإسلامية :

إن الله حينما وصف الأمة الإسلامية ، وتحدَّث عن خيريتها قال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)، فالسبب الأول لخيرية الأمة هو هذه الفضيلة ، وهذه الفريضة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وحينما تحدَّث الله عن المؤمنين والمؤمنات قال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبة: ٧١) .

فقبل أن يتحدَّث عن الصلاة والزكاة ، تحدَّث عن أخصِّ أوصاف المؤمنين والمؤمنات : أنهم ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾.

من الذين يستحقُّون نصر الله عز وجل ؟

وحينما حدَّثنا الله عن نصر مَن نصره ، ذكر مَن هم الذين يستحقون نصر الله فقال : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج ٤٠، ٤١).

نسأل الله أن يجعلنا من المؤمنين ، الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، الحافظين لحدود الله .

* * *